الأديب يكتب للخاصة

بقلم الدكتور رضا حسين

سيداتي سادتي

يجب ان اقول لكم الحق قبل ان آخذ معكم في هذا الحديث ؛ فانا لم التزم الدفاع عن الخاصة ولا عن العامة ، وانا لم التزم موضوعاً ما ، فكل الذي كان ، وكل الذي اعرفه هو اني تلقيت دعوة كريمة من جمعية المقاصد الاسلامية امضاها الاستاذ الصديق سهيل ادريس ، وعرض فيها ان ستكون مناقشة حول الكتابة للخاصة او الكتابة للعامة ، وطلب اليّ او ذكر أني سأتحدث عن الكتابة للخاصة ان اردت . وهنا يجب ان اقول الحق مرة اخرى ، وهو ان شوقي الى لقائكم وشوقي الى تحية لبنان في وطن لبنان ، بعد كل الذي اسداه اليّ لبنان من الخير ، واسداه الي من المعروف ، اقول انّ شوقي الى لقاء لبنان القى في روعي ان اجيب الاستاذ سهيل ادريس باني موافق على كل ما يريد ما دامت النتيجة ان ازور لبنان وان القاكم وان اصغي اليكم .

يجب اذن ان نتفق . فهذه المناظرة او هذه الموقعة او المعركة او هذه الخصومة ، انما هي فيما اعتقد شيء مصطنع لا اعرف له أساساً ولا اعرف له اصلاً ، لسبب في غاية البساطة ، وهو أني فيما بيني وبين نفسي وفي كل ما كتبت وفي كل ما علقت وفي كل ما حاولت من عناية بالادب لم افهم عامة وخاصة بالقياس الى الادب ، وإنما فهمت أدباً وفهمت قراء يقرأون هذا الادب ، فيرضون عنه او يسخطون عليه ، ثم لم اتجاوز هذا الى شيء آخر مطلقاً . ولست من الذين تفتنهم هذه الآراء الكثيرة الخطيرة الحديثة ، التي يشغل الاوروبيون بها انفسهم منذ زمن والتي يشغلون بها انفسهم منذ كانت هذه النظريات السياسية التي غيرت نظم الحياة في هذا العصر الحديث . ولست من الذين يؤمنون بهذا كله او يأبهون له أو يحفلون به ، لأن الادب قد وجد قبل ان توجد هذه النظريات ، وهو قد أثّر في حياة الامم والشعوب ، وقد أتاح لها ان تتطور ، واتاح لها الواناً كثيرة من التأثر دون ان يفكر الذين انشأوه في انهم يكتبون للعامة او للخاصة او يفكروا في انهم موجّهون او موجّهون ، كل هذه اشياء لم تكن تخطر للادباء ببال عندما أنشأوا روائعهم منذ العصور القديمة الى اوائل هذا العصر . فما الذي طرأ على الحياة الانسانية وعلى الحياة العقلية بصفة خاصة ؟ ولِمَ نقسم الشعرة الى نصفين ، ولِمَ نلتمس الظهر في الساعة الرابعة عشرة كما يقول الفرنسيون ؟

لا شيء ، إلا ان آراء ونظريات جديدة في السياسة قد دعت الواناً من الساسة الى ان يسيطروا على حياة الناس ، وقد سيطروا عليها بالفعل ، وكلكم يعرف ان السياسة اذا سيطرت فهي لا تستطيع ان تعيش ولا ان تتسلط ولا ان تمكن لنفسها إلا اذا كان لها دعاة يؤيدونها ويصدقونها ويذيعون نظرياتها ويدعون لها في اعماق الشعوب . هؤلاء الساسة ارادوا اذن ان يؤثروا في الادب ، وان يفرضوا عليه نظرياتهم السياسية ، فكان الادب الموجّه وكان الادب الموجِّه ، وظهرت الكتابة للخاصة وظهرت الكتابة للعامة ، وظهرت الكتابة التي يلتزم فيها الاديب وظهرت الكتابة التي لا يلتزم فيها الاديب شيئاً . كل هذه اشياء صنعتها السياسة ايها السادة . ولم يصنعها شيء غير السياسة . وإذن فأذنوا لي في ان اكون حرّاً ، وأذنوا لي في ان اكون حراً باوسع واعمق معاني هذه الكلمة ، واطمئنوا فلو قد صارحتموني انكم لن تأذنوا لي بهذه الحرية ، فسيكون ردّي عليكم يسيراً جداً هو اني سأكون حراً سواء رضيتم ام لم ترضوا !.

ما طبيعة هذه المشكلة التي أثارها الاستاذ سهيل ادريس وخاض غمارها الاستاذ الصديق رئيف خوري؟ ما طبيعة هذه المشكلة ، وما عسى ان تكون في حقيقة الامر ؟ دعوا هذا العصر الحديث الذي نعيش فيه ، ودعوا كل الظروف التي تحيط به وتؤثر في الادباء وفي ادبهم آثاراً مختلفة ، وانتقلوا بنا الى عصر بعيد كل البعد عن هذه الظروف التي نحن فيها الآن ، واختاروا اي اديب شئتم من ادباء العصور القديمة ، ولنختر مثلاً ادباء التراجيديا عند اليونان . من الذي كان يوجه هؤلاء الادباء ؟ اكانوا موجَّهين ام كانوا موجِّهين ام كانوا موجهين وموجهين ما دام الاستاذ رئيف يحب هذه الالفاظ . . من الذي وجّه كاتباً او شاعراً كسوفوكل مثلاً ؟ اتظنون ان الحزب الارستقراطي ام الحزب الديموقراطي في اثينا اتفق مع سوفوكل على ان ينشيء قصة « انطيغونا » او قصة « الكتر » او ما شئتم من قصصه ، على هذا النحو الذي

انشأها عليه ؟ اتظنون انه انما انشأ قصته على هذا النحو لان هذا كان يدعو الى هذا المذهب اوذاك من المذاهب السياسية، ويلائم هذا الحزب او ذاك من الاحزاب التي كانت تتنافس في اثينا ؟

اما انا ، فمقتنع بان سوفوكل لم يحفل عندما انشأ انطيغونا لا ببيركليس ولا بالذين سبقوا بيركليس ولا بالحزب الديمقراطي ولا بالحزب الارستقراطي ، وانما وجد امامه اسطورة قديمة رائعة تأثر بها اليونان حتى تناقلتها اجيالهم ، ورأى ان النظام في اثينا ، النظام الديني والنظام السياسي، يقضي ان يحتفل في كل عام بآلهة من آلهتهم هو اتينا في التراجيديا او هو ديونيسوس في الكوميديا ، وأن الشعراء يتفقون في انشاء طائفة من القصص لتعرض على الجماهير في ملعب التمثيل ، واحسّ من نفسه اتجاهاً الى هذا الفن وقدرة عليه ، فمارس هذا الفن واستغلّ هذه الاسطورة القديمة وأنشأ قصته هذه ، او انشأ قصصه الاربع التي مست حياة الادب وما كان بعد محنة اوديب ، دون ان يكون للسياسة ولا لأحد سلطانٌ على هذا الشاعر ، لا في رأيه ولا في صيغته ولا في مضمونه ، كما يجب الاستاذ رئيف ان يقول ، ولا في موضوعه او معناه كما نحب نحن القدماء ان نقول ، لم يفكر احدٌ في ان يوجه سوفوكل الى شيء ولم يفكر سوفوكل في ان يوجه احد الى شيء ، وانما رأى أمامه اسطورة فاستغلها ، إستغلها على النحو الذي لاءم طبعه ومزاجه وتصرفه ولاءم المذاهب المألوفة في الفلسفة والحياة في العصر الذي كان يعيش فيه .

وإذن فقد استطاعت طائفة من القدماء في عصور مختلفة جداً، متباعدة في الازمنة والامكنة، متباينة في الظروف وفي المؤثرات المختلفة التي تؤثر ، استطاعت هذه الطوائف ان تنتج ما انتجت ، دون ان تفكر في شيء من كل هذا الكلام الجميل الذي استمعنا له منذ حين. لان كل هذه المعاني لم تكن تخطر لأحد منهم ببال ، او لأن العصر لم يكن يسمح بان تنشأ هذه المعاني ولا ان يُدفع اليها الكتاب والشعراء .

وتظنون ان احداً وجه هوميروس او وجه الذين انشأوا الالياذة او انشأوا الاوذيسة ؟ فما عسى ان يكون التوجيه الذي دفع به هؤلاء الناس الى انتاج ما انتجوا ، بل هل يخطر لكم ان هوميروس واصحابه الذي اتموا بعده الالياذة او الاوذيسة فكروا لحظة في الصورة والمضمون ، او في اللفظ والمعنى والاسلوب كما نقول ، او في اي ظاهرة من هذه الظواهر التي يكثر فيها قول النقاد منذ نشأ النقد ؟ اؤكد لكم ان شيئاً من هذا لم يخطر لأحدهم ببال وانما دفعوا الى انتاجهم الادبي، دفعتهم طبيعتهم اولاً ودفعتهم حياتهم وحياة الشعب الذي كانوا يعيشون فيه ثانياً، فصوروا ما صوروا من حياة شعوبهم، لم يوجههم احد ولم يوجههم رأي، ولم تكن لهم نظرية ما لا في الادب ولا في الجمال ، ولا في شيء من هذا بحال من الأحوال .

وشعراؤنا نحن وكتابنا نحن؟ وعصورنا القديمة ، من الذي وجههم ؟ وما هذه النظريات المعينة التي فرضت عليهم نفسها ؟ اما في العصر الجاهلي فلا اعرف ان احداً من الجاهليين كان يعرف نظرية ما في نقد او ادب او في شيء من هذه الاشياء التي نتحدث عنها الآن . وفي العصور الاسلامية الاولى مضى شعراؤنا مع طبيعتهم ، فاندفع الى السياسة الحزبية منهم من اندفع ، واستقل عن سياسة الاحزاب وعُني بالفنون الخاصة منهم من آثر هذا الاستقلال ، واستغل اصحاب السياسة هذا الشاعر او ذاك، فأجازوه وشجعوه لانه كان يدعو لهم ويروّج مبادئهم . هذا كله شيء طبيعي لا غبار عليه ، ولكن الشيء الذي ليس فيه شك انه لم تكن هناك نظرية فنية تفرض على هذا الشاعر او ذاك ان يفكر في انه ينظم شعره للشعب ، او ينظم شعره لهؤلاء الخاصة الذين ابتكرهم الاستاذ سهيل ادريس والاستاذ رئيف خوري من حيث لا ادري . لم يخطر لاحد من هؤلاء الشعراء ان يفكر في عامة أو خاصة وانما فكر في فنه وفكر في الغرض الذي قال فيه الشعر ثم لم يزد على هذا الا انه أجاد واتقن بمقدار ما اتيحت له الاجادة واتيح له الاتقان .

شاعر كعبيد الله بن قيس الرقيات كان قرشياً ، مؤمناً بقريش ، كارهاً لكل سلطان يعتمد على قوة غير قوة قريش، يبغض الامويين لانهم اعتمدوا على اليمن في تقوية سلطانهم ولا يحب العلويين لانهم اعتمدوا على الموالي في تقوية مذهبهم والدعوة له في شرق الدولة الاسلامية . كان قرشياً كهذه الارستقراطية القرشية التي عاشت في العصر الجاهلي ، وعرفت كيف تستغل الظروف الجديدة بعد ان ظهر الاسلام واتيح له الانتصار والتفوق ، ومن اجل هذا يدافع عن سياسة عبدالله بن الزبير الذي يريد ان يكون سلطانه قرشياً صرفاً

لا يجب ان يعتمد على اليمن ولا على الموالي، وانما يجب ان يعتمد على قريش وعلى قريش وحدها. من الذي كان يوجهه؟ ما عسى ان تكون النظرية التي تأثر بهـا ؟ الشيء المحقق ان ابن الرقيات لم يكن يتأثر الا بحبه لمصعب بن الزبير وبأيمانه بقريش وحرصه على سيادة قريش ، وبغزله في اولئك الرقيات اللاتي هام بهن وسمي باسمهن .

وخذوا من احببتم من شعرائنا القدماء أكانوا مدّاحين ام كانوا هجائين ام كانوا سياسيين ، فلن تجدوا انهم فكروا في عامة او فكروا في خاصة ، ولكن المشكلة الحقيقية ليست هذه . هم لم يفكروا في شيء من هذا ولكنهم انشأوا شعرهم لمن ؟ لم يفكروا هم فلنفكر نحن مكانهم . لمن انشأ الشعراء شعرهم؟ أترونهم انشأوا هذا الشعر لهؤلاء الذين كانوا يمدحونهم او يهجونهم ؟ اترونهم انشأوا الشعر السياسي لقادتهم السياسيين؟ اما أنا فأعتقد انهم لم يفكروا في ان ينشئوا شعرهم لهؤلاء ، وإنما الشعر وُجّه قبل كل شيء الى القادرين على فهمه وذوقه والتأثر به من الذين سيسمعونه حين ينشد او يقرأونه حين يذاع مكتوباً .

وهناك اشياء قوامها الخطأ ايها السادة ، ومعذرة اليكم من هذا العنف في الحديث . هناك الخطأ في فهم التاريخ الادبي والتاريخ الادبي العربي بنوع خاص. لست ادري أعندكم الآن هذه المشكلة التي يشقى بها كثير من الكتاب ومن الادباء في مصر ، وهي السخط على المدح وعلى المادحين والممدوحين وإعلان ان شعر المدح انما كان يصور مهنة الشاعر ويصوّر أنه كان يبيع شعره ويبيع خلقه ويبيع نفسه ، الى آخر هذا الكلام الكثير الذي يقال لا منذ كانت الثورة الأخيرة في مصر ، بل منذ كان العصر المصري الحديث منذ اوائل هذا القرن. اؤكد لكم ان هذا كله ليس في حقيقة الأمر إلا عبثاً من العبث ، وكلاماً لا يقدم أصحابه ولا يؤخر، فليس من شكّ في ان شعراءنا قد مدحوا، وغلوا في المدح إذ قالوا شعرهم ، ولكن ليس من شك ايضاً في اننا عندما ندرس حال هؤلاء الشعراء الذين كانوا يبيعون المدح ويأخذون ثمنه من الامراء والخلفاء ، وندرس حال اولئك الذين كانوا يُغرّون بهذا المدح ويعطون الجوائز السنية في سبيل هذا المدح ونسأل انفسنا: أيّ الفريقين كان ادنى الى الغفل ، وأقرب الى الحماقة ، وأي الفريقين كان مغفلاً بالمعنى الصحيح ؟ فالجواب هو ان الملوك والخلفاء والامراء هم الذين كانوا أغفالاً مغفلين ، وان هؤلاء الشعراء كانوا يعبثون بهم ويسخرون منهم فيما بينهم وبين أنفسهم ثم يغدقون عليهم فيقولون لهم كلاماً لا يصدقه إلا المحمقون الأغرار ، والمدهش ان هؤلاء الخلفاء كانوا يصدّقون هذا الكلام ، ويؤدون عليه لهم اثماناً ضخمة .

عندما يقول شاعر لهارون الرشيد :

وأخفت أهل الشرك حتى انه لتخافك النطف التي لم تخلق

فيرضى الرشيد عن هذا الكلام، ويهتز له اريحيةً وطرباً، ويجيز الشاعر اعظم جائزة وأسناها ، أي الرجلين كان محمّقاً ؟ ليس هو الشاعر من غير شك ، فالشاعر لم يكن من الحماقة بحيث يظنّ ان الرشيد يستطيع أن يخيف النطف التي لم تخلق، وانما هو الرشيد الذي غرّه الغرور واطمأن الى قوته ، وظن انه حقيقة يخيف النطف التي لم تخلق. وعندما يقول له شاعر آخر:

وعلى عدوك يا ابن عم محمد رصدان: ضوء الصبح والإظلام
فاذا تنبه رعته واذا غفا سلّت عليه سيوفك الاحلام

فيطمئن الى هذا ويجيز الشاعر. ليس الشاعر هو المغفل، وانما المغفل هو الذي ترك نفسه ينخدع بهذا الكلام. ولم يتمثل هذا في احد كما تمثل في ابي الطيب المتنبي الذي لم يسخر احد قط بممدوحيه كما سخر هو بالكثرة الكثيرة من ممدوحيه . فقد كان يحتقر ممدوحيه كافة ، لا استثني الا سيف الدولة ، كان يغلو في مدح بعضهم حتى يجعله مستقراً لروح من الله . ويغلو في مدح بعضهم حتى ليشبهه بموسى وعيسى ومن شاء من الانبياء ، وهو يحتقرهم اشد الاحتقار فيما بينه وبين نفسه. فأي الفريقين كان يبيع نفسه ، واي الفريقين كان يبيع خلقه واي الفريقين كان ينزل للآخرين عن كرامته؟ اما انا فاعتقد ان الممدوحين هم الذين خسروا في هذه القضية ، وان الشعراء لم يخسروا فيها شيئاً . واغرب من هذا، وهو الذي يتصل بهذه الخصومة التي اثيرت لا ادري لماذا ، اغرب من هذا ان هؤلاء الشعراء عندما كانوا يمدحون وعندما كانوا يهجون ، أكانوا حقاً يفكرون فيمن يمدحون ويهجون فحسب، ولا يفكرون في شيء آخر ، ام كانوا يفكرون في ان ينشئوا شعراً رائعاً يروع كل من سمعه وكل من قرأه ، فهم قبل كل شيء، قبل ان يفكروا في الممدوحين وفي المهجوين وفي الساسة، انما يفكرون في الشعب، ويفكرون في هذه الكثرة من الناس الذين سيقرأون هذه القصيدة او سيتناشدونها فيما بينهم .

اما انا فأؤمن ايها السادة بأن المادحين لم يفكروا بممدوحيهم بمقدار ما فكروا في سامعيهم وقرائهم . وليس ادل على ذلك من ان هؤلاء المادحين قد انقرضوا وانقضى الذين مدحوهم ولا نزال نقرأ شعرهم الى الآن فنجد في قراءته لذة ومتعة ونحس الروعة كل الروعة بالقياس الى فريق منهم . لقد مات المعتصم ومات ابو تمام ومات الذين سمعوا ابا تمام عندما انشأ بائيته في قصة عمورية، ولكننا نقرأ هذه القصيدة الآن فنجد لها الروعة وربما كان فقهنا بهذه القصيدة خيراً من فقه الذين عاصروا ابا تمام .

إذن فليس هناك شيء جديد عندما يقال: يجب ان يكتب الاديب للعامة دون الكافة وعندما يقال بل يجب ان يكتب الاديب للخاصة . لا جديد في هذه النظرية مطلقاً . لا اعرف اديباً كتب او شاعراً نظم شعراً وهو يفكر في طائفة بعينها ، لا يفكر إلا فيها . وانما الذي اعرفه ان الاديب يفرض الموضوع نفسه عليه اولاً ، ويلحّ عليه بعد ذلك إلحاحاً شديداً حتى لا يرى بداً من ان يخرجه الى غيره ، فينظمه شعراً او يصنعه نثراً، ثم يذيعه بين الناس على الطرق البسيطة التي كانت معروفة قبل ان تنشأ المطبعة ، قبل ان يذيعه على الناس بالطريقة الحديثة التي عرفت بعد وجود المطبعة وبعد تنظيم النشر . فهو اذن لا يكتب لنفسه ، وما اكثر ما يخدع الادباء انفسهم فيقولون انهم يكتبون لانفسهم . كلام فارغ : لا يكتب الاديب لنفسه ولو قد اراد الاديب ان لا يكتب الا لنفسه لما احتاج الى الكتابة ، ولا كتفى بمداعبة خواطره وآرائه حين تجول في نفسه وتضطرب بها عواطفه ، فهو ليس في حاجة الى ان يقرأها مكتوبة ، وحسبه ان ينعم بها ، ولكنه حين يخرجها من نفسه وحين يلقيها الى القرطاس يثبت انه لا يكتب لنفسه وانما يكتب لها ويكتب لغيرها وهو لا يكتب الا لأنه يفكر في غيره، ثم هو لا يكتب للخاصة ، ولا يفكر في الخاصة ، وهو لا يكتب للعامة ولا يفكر في العامة ، وانما يكتب لغيره ، يكتب لكل من يتاح له ان يقرأ ، ويكتب لكل من يتاح له ان يفهم ويكتب لكل من يتاح له ان يذوق. فاذا كان الذين يتاح لهم الفهم والذوق هم من يسميهم الأستاذ رئيف ولا اسميهم انا شيئاً لاني لا اعرفهم — اذا كان هؤلاء هم الخاصة فالأديب يكتب للخاصة ؛ واذا كان هؤلاء الذين سيتاح لهم ان يقرأوا ويفهموا ويذوقوا هم العامة او هم الشعب كله ، فالاديب يكتب للعامة او يكتب للشعب كله ؛ وكل اديب حريص اشد الحرص على ان يقرأه ويفهمه ويذوقه اضخم عدد ممكن من الناس ، فمن زعم لكم غير هذا فثقوا بأنه خادع او مخدوع. فالأديب بطبعه طموح، وهو بطبعه مغرور، وهو بطبعه حريص على ان يبلغ قلوب الناس جميعاً ونفوسهم جميعاً إن اتيح له ذلك، فمن قال لكم انه لا يكتب الا لطائفة بعينها من الناس فثقوا بأنه انما يريد ان يقول بأنه يائس ، وعالم ووائق كل الثقة بأنه لن يفهمه ولن يذوقه الا عدد محدود من الناس .

ايها السادة ، لست ادري أناقشت الأستاذ رئيف الخوري في كل ما عرض علينا ام لم اناقشه ، بل يخيل الي اني لم اناقشه مطلقاً ، لسبب بسيط هو اني لم اؤمن قط بهذه المناقشة فكل ما أحرص أشد الحرص على ان اقوله للأستاذ الصديق وعلى أن اقوله لحضراتكم ، وقد قلته دائماً ويظهر اني لن املّ قوله ، هو اننا نستطيع ان نتفق على كلمة سواء ؛ اذا كان الذين يفهمون الأدب ويقرأونه ويذوقونه ويستمتعون به قلة، فلهذه القلة يكتب الاديب واذا كانوا كثرة فلهذه الكثرة يكتب الاديب .

والغريب ان من الادباء من يكتب في أول امره لقلة قليلة جداً ، ولكن مرّ الزمن ورقيّ الحياة وانتشار الثقافة ويقظة الشعب ، ومشاركته في الثقافة، كل هذا يتيح للاديب الذي كتب لفئة قليلة أن يكون قد كتب لفئة كثيرة لا تحصى كثرتها . فالذين يقرأون الآن شعر القدماء اكثر جداً من الذين قرأوهم في ايامهم، لان العصر الذي عاش فيه شعراؤنا القدماء والعصر الذي عاش فيه القدماء من اليونان والرومان والعصر الذي عاش فيه دانتي، ما دام الاستاذ قد ذكر دانتي، والعصر الذي عاش فيه كورنيل وراسين وموليير وڤولتير وكل هؤلاء ، في هذه العصور كان الذين يقرأون قلة قليلة ، وكان هؤلاء الشعراء وهؤلاء الكتاب ينشئون ادبهم لهذه القلة القليلة ؛ ولكن الدنيا تغيرت واصبح التعليم فرضاً على الشعب كله ، واصبحت الشعوب كلها آخذة في أن تقرأ وتكتب وتتثقف ، وإذا الذين يقرأون دانتي والذين يقرأون سوفوكل لا يقاس اليهم بأي حال من الاحوال من قرأوا هذين الشاعرين حين كتب ما كتب من آثارهم الراقية .

وإذن فقد يكتب الاديب للخاصة او للقلة القليلة ثم يتاح

لادبه أن تقرأه الكثرة التي لا سبيل الى إحصائها . هوميروس انشأ شعره لليونان ، ولكن من الذين يقرأون شعر هوميروس الآن ؟ أهم اليونان وحدهم ؟ أم الانسانية كلها ؟ وكذلك سوفوكل ، وكذلك كل الشعراء البارعين وكل الكتاب الممتازين ، كل هؤلاء العبقريين في الفن انشأوا فنونهم لطائفة بعينها ولنقل انشأوها لشعوبهم ، لكنها اصبحت انسانية عالمية . فليس هناك اذن خاصة ولا كافة ولا قلة ولا كثرة وانما هناك الحظ وهنـــاك الظروف وهناك كل هذه الاشياء التي تتيح للادباء ان يكتبوا وان تقرأهم قلة او يكتبوا ثم تقرأهم كثرة كثيرة لا حد لها . اتظنون ان الذين يقرأون ابا العلاء المعري في هذه الايام يمكن ان يقاس اليهم من قرأ المعري في أيامه ؟ مطلقاً . لا ، ولم يكن يخطر مطلقاً لابي العلاء ان العالم العربي كله سيقرأه وسيقـرأه منه من تخصص في الادب ومن لم يتخصص وسيقرأه كل من يتاح له ان يقرأ وكل من يستطيع ان يفهم ويذوق ؛ واذن فالموضوع في نفسه ليس دقيقاً ، ليس هناك خـــاصة ، وليس هناك عامة ، وانما هناك ادب يجب ان ينشـأ ويجب ان ينشأ كأروع ما يكون الادب وفي اجمل صورة ممكنة وفي احسن موضوع ممكن ثم يكتب ، ولتقرأه الخاصة ولتقرأه العامة وليقرأه من يشاء فهو لم يكتب لهؤلاء او لهؤلاء وانما كتب ليقرأ ، وليقرأه كل من يستطيع ان يقرأه او يفهمه أو يذوقه . ولست مطمئناً الى هذه المـذاهب في الادب . ان يكون الادب اشتراكياً ، أو أن يكون الادب شيوعياً ، او ان يكون الادب ديمقراطياً ، كل هذا — ارجو ان تعذروني — اذا قلت لكم اني لا افهمه ولا اسيغه ولا احب للادب ان يفرض عليه مذهب من المذاهب او خطة من الخطط وانما الاديب يفرض لنفسه وعلى نفسه طبعه ومزاجه وخطته ، والحرية الواسعة المطلقة يجب ان تكون هي القانون وهي الصلة بـين الاديب وبين الذين يقرأونه . وقد قلت دائماً وسأقول دائماً اني اكتب ما اشاء كما اشاء ، ولا اسمح لقارىء مهما يكن ان يجادلني فيما اكتب او في الطريقة التي اكتب عليها ، ولا أن يفرض عليّ رأياً من الآراء او مذهباً او خطة ، وانما الذي هو حق للقارىء هو ان يقرأ ان شاء وان لا يقرأ ان شاء ، فاذا قرأ فمن حقه ان يغضب ومن حقه ان يسخط ومن حقه ان شاء ان يمزق الكتاب تمزيقاً ، كل هذا لا يعنيني . وكم احب أن يجيبني اخواننا الذين يحبون الادب الموجه ، أتراهم يقرأون الآداب القديمة ، أتراهم يذوقون هذه الآداب ؟ الذي اعرفه انهم يقرأونها قراءة ملحة وانهم يقدرونها حق قدرها وانهم يحرصون عليها اشد الحرص ، يجاهرون بذلك أم يستخفون به لا أدري ولكن المهم هو أن الذين يحبون الادب الموجه الذي توجهه النظريات السياسية او توجهه الشعوب لا ادري ، مع حبهم لهذا الادب المـــوجه ومع حرصهم على ان يكونوا موجهين اي مع حرصهم على ان ينزلوا عن بعض حقهم في الحرية والاستقلال ، مع هذا كله هم يقرأون مونتاني ويقرأون شكسبير ويقرأون كورنيل وراسين وموليير ويقرأون القدماء من العرب ومن اليونان ومن الرومان وقد يقرأون من الآثار الهندية القديمة ويجدون في هذا كله روعة وأي روعة مع انهم يعرفون ان هذا الادب القديم لم يكن موجهـــاً بالمعنى الذي يفهمونه هم وبالمعنى الذي يريدونه هم الآن .

ألستم ترون ان في هذا تناقضاً قوياً جداً بين مـا يريده هؤلاء السادة وبين حقائق نفوسهم ، هم فيما بينهم وبين نفوسهم يستمتعون بالادب غير الموجه ، فأذا ارادوا ان ينشئوا ادباً أبَوا إلا ان يكونوا موجهين وأبَوا الا ان يقيدوا انفسهم . كيف تسمون هذا وكيف يسمون هم هذا ؟ اما انا فأسميـــه التناقض من ناحية واسميه التفريط في حرية الاديب من ناحية اخرى . ومهما يكن فلنقل الحق ولنقله في صراحة لا نتردد ولا نشفق ولا نخاف ، اتريدون ان تعرفوا هذا الحق ؟ هو

اشهر العشاق

سلسلة رواية وادب وتاريخ

١ — ايلوئيز وابيلار ، ٢ — باغانين ساحر النساء ، ٣ — بودلير في حياته الغرامية ، ٤ — ميسالين الامبراطورة الوثنية ، ٥ — ليدي هاملتن سفيرة الحب ، ٦ — ديـــك الجن الحب المفترس ، ٧ — كاترين الروسية في احضان الحب ، ٨ — نابوليون وزوجته البولونية (جزءان) ، ٩ — اللورد بيرون عاشق نفسه ، ١٠ — بولين بورغيز الشهوة الجامحة ، ١١ — المرأة في حيـــاة ادغار بو ، ١٢ — فاغنر والمرأة ، ١٣ — المركيزة دي بومبادور .

بسيط جداً: الادب الموجه هو الادب الذي يراد به ان يكون ادب الدعوة ، ويراد به ان يسوق الشعوب الى ما يريده بها هذا الحزب او ذاك ليكن اشتراكياً ام شيوعياً ام ديمقراطياً . ولا احب ان اخدع نفسي مطلقاً ولا احب ان يخدع احد نفسه ، اني لا أحب ان اتملق الشعب لأخضعه لما لا ينبغي ان يخضع له ؛ اني لا اريد ان اقول اني اكتب من الشعب واكتب للشعب واكتب بالشعب واستقي واشتق ما اكتبه من الشعب ليسمع الشعب هذا الكلام وليقرأه وليندس له هذا المذهب او ذاك ، فانا اخدع الشعب عن نفسه وانا اسخر الشعب لما لا احب ان تسخر له الشعوب . والامر ايسر من هذا . اما ان الاديب موجه بطبعه وبفطرته توجهه طبيعته هو ومزاجه هو وطبعه هو ويتعرض من اجل ذلك للسخط ويتعرض للأذى ويتعرض للعذاب والنكال ، فهذا حقه وهذه طبيعته في الحياة وهذه طبيعة الادب الذي يستحق ان يكون ادباً . واما ان يأتي التوجيه من غيره كائناً ما يكون غيره ، ليكن فرداً ، ليكن حزباً ، لتكن حكومة ، لتكن جماعة ، فهذا لا صلة بينه وبين الادب ولا يمكن لهذا التوجيه الذي يأتي من الخارج ان ينتج ادباً صحيحاً صريحاً بريئاً من المصانعة والمداجاة . ولنكن صريحين مرة اخرى : ما تحبون للأديب ؟ أتحبون ان يكون خادعاً وان يكون مخدوعاً ؟ واذن فليكن الاديب موجهاً ولتكن سيرة الاديب مع الذين يوجهونه كسيرة ابي تمام والمتنبي مع الذين كانوا يعبثون بعقولهم من الممدوحين ، ام تريدون ان يكون الاديب صريحاً مؤثراً للحق والخير ان اراد ؟ واذن فخلوا بين الاديب وبين حريته وخلوا بين القراء وبين حريتهم . وأؤكد لكم اني من اكثر الناس قراءة للأدب الموجه ، الموجه على اختلاف التوجيهات التي تصب على الادب صباً في هذه الايام . لا تصدقوا اني لا اقرأ ادباً شيوعياً فأنا اقرأه واكثر من قراءته ، واقرأ ادباً اشتراكياً واكثر من قراءته ، وقرأت آداباً متأثرة بالفاشية ، ولكن اسمحوا لي ان اقول إني قلما احسست الصدق في هذه الآداب الموجهة ، واكثر ما تأخذني الرحمة والشفقة لكتاب بارعين متميزين قادرين حقاً على ان يبدعوا او ينتجوا ولكن الظروف ارادت ان يكونوا موجهين فأضاعت من قيمة ما يكتبون كثيراً واضاعت منها كثيراً جداً . خذوا قصة البرج العاجي وهؤلاء الذين يكتبون فيما لا يرضي الشعب او فيما لا يصور حاجة الشعب . ما هذا الكلام ؟ اولاً ما هي حاجة الشعب ؟ ما عسى ان تكون حاجة الشعب ، ومن الذي يستطيع ان يحقق ويحدد حاجة الشعب في وقت من الاوقات ؟ ايحتاج الشعب الى ان يأكل بعد جوع ، ويكتسي بعد عري ، ويروي بعد ظمأ ، ويقضي كل هذه الحاجات المادية التي فقد فيها النظام الاجتماعي وقسمت ثمرات الارض على اساس ليس للعدل فيه نصيب ؛ فاذا اتيح للشعب ان يظفر بهذا كله واذا لم يتح للشعب ان يظفر بهذا كله ؟ اتظنون انه لا يحتاج الا الى هذه الحاجات المادية ؟

أليس للشعب عقل وذوق وقلب وعواطف ؟ ما الذي يصنعه غزل الغزلين مثلاً في اطعام الجائعين اذا قرأ الجائع شعر كثير او شعر جميل او شعر من شئتم من شعراء الغزل لم يجد ما يدفع عنه الجوع في قراءة هذا الشعر . أواثقون انتم بأنه ليس محتاجاً لقراءة هذا الشعر ؟ اما انا فمطمئن الى انه محتاج اشد الحاجة الى قراءة هذا الشعر وان الشعب بطبعه ارشد من ان يخلط بين الاشياء التي لا سبيل الى ان يخلط بينها ؛ فهو يفرق بين ما ينفع جسمه وبين ما ينفع عقله وهو حريص حين يتاح له حظ

بيت الطلبة

محطة بحمدون — لبنان

ملك المدور . قرب مستشفى ابو رجيلي

- **يستقبل الشباب من لبنان وسائر البلاد العربية .**
- **خدمة ممتازة — وجبات طعام غنية — غرف نوم رحبة .**
- **رسوم معتدلة تقارب ٢٠٠ ليرة شهرياً .**
- **ادارة البيت تؤمن تذاكر السفر بالطائرة ذهاباً وايباباً باسعار مخفضة .**
- **اغتنم هذه الفرصة النادرة واحجز لنفسك مكاناً بعد الاطلاع على بيان البيت مجاناً .**
- **المراجعات مع إدارة المعهد العالي — برج ابي حيدر — بيروت — لبنان .**

من ثقافة ان يرضي روحه كما انه حريص على ان يرضي جسمه. ولمَ لا نذكر حقائق التاريخ؟ اتظنون ان هؤلاء الشعراء الذين تغزلوا في القرن الاول الهجري كانوا يتغزلون لأنهم كانوا عشاقاً يهيمون بليلى وغبلة وغيرها من هؤلاء السيدات؟ اما انا فاؤكد لكم ان هؤلاء الشعراء انما كانوا يستعينون بغزلهم على احتمال الحرمان ويتعزون به عن آمال بعيدة لم يتح لهم ان يحققوها، وكانوا ربما أرضوا ارواحهم بعد ان حيل بينهم وبين أن يرضوا اجسامهم كما ينبغي. فلنكن اذن مقتصدين ولنعترف بأن الشعب ليس طعاماً وشراباً ولباساً فحسب. إن من الاجرام ان يتعرض الشعب للجوع، للبأساء او يتعرض لشقاء ما دامت الارض تعطي ثمراتها وما دام الجهد الانساني يستطيع ان ينتج من الخبز ما يسع الناس جميعاً، من الاجرام مع ذلك ان يجوع جائع وانا اعتقد كما كان يقول بعض المعاصرين، اعتقد ان جوع فرد واحد في وطن من الاوطان يخل التوازن في هذا الوطن ولكن هذا كله شيء، وقصر الادب وقصر تفكير الاديب وقصر اتجاه الاديب على هذا النوع من الحياة شيء آخر. اوما اكثر ما يقرأ الانسان المثقف ثقافة اديب من هؤلاء الأدباء الذين اعتصموا ببرجهم العاجي في بعض الأحيان وكتبوا كلاماً لا يمس الا انفسهم ما اكثر ما نقرأ هذا الكلام فنجد فيه احياناً كثيراً من الرضى وكثيراً من المتعة وكثيراً من اللذة. لماذا؟ لأننا نحب المثل العليا ونحب الجمال من حيث هو جمال ولسنا محتاجين دائماً الى ان نتخذ كل شيء وسيلة وان نجعل لكل شيء غاية. انما نتخذ الادب غاية في نفسه. ليس من الضروري ان نسخر الادب لهذا الغرض او ذاك، وليس من الضروري ان نسخر الفن نفسه لهذا الغرض او ذاك ان الفن ينفعنا في حياتنا المادية سواء اردناه على ذلك ام لم نرده، إنه يبتكر لنا من النظريات ومن القوانين ما يتيح للتطبيقيين ان يخترعوا ما يخترعون من الادوات ولكن اسمحوا لبعض العلماء ان يحبوا العلم لا لشيء الا لان فيه رضى لنفوسهم ويحبون العلم لانه معرفة المعرفة فحسب، يرضون بالمعرفة مهما تكن نتائجها، سواء اكانت نتائجها اختراع كل هذه الآلات وترقية العالم من الناحية المادية الى حيث ترون ام لم تكن. اسمحوا لعالم يعيش في معمل ان يرضى ويجتهد بنتائج التجارب التي يجريها وان يترك لغيره استغلال هذه التجارب، استغلالها في الاختراعات والاستكشافات الى آخر هذه الحياة المادية التي تعرفونها. كذلك الاديب، دعوه ينتج، ودعوه ينتج كما يريد طبعه ان ينتج، وكما تريد له الحياة التي يحياها ان ينتج، ثم خذوا انتاجه واصنعوا به ما تريدون. اسيغوه ان اعجبكم واتركوه ان لم يعجبكم ولكن دعوه ينتج ودعوه ينتج لانه أديب واذكروا ان ابا العلاء المعري رحمه الله كان يسخر من الذين كانوا يظنون ان النحلة مسخّرة للانسان تصنع له العسل ليستمتع به بل كان يقول ان النحل لم تنشىء عسلها لتستمتع به أنت وانما انشأت عسلها لنفسها.

لا ينبغي اذاً ان ننظر للاديب على انه مسخر نوجهه لهذه الغاية او تلك بل ينبغي ان ننظر للاديب على انه عنصر حي ينتج ما يستطيع وننتفع نحن بما ينتج لا اكثر ولا اقل. ولا تسألوني بعد ذلك، أينا انتصر وأينا لم ينتصر، فأذا كان الخاصة هم الذين يستطيعون ان يقرأوا الادب وأن يفهموه وأن يذوقوه وأن يستمتعوا به فأنا المنتصر، بشرط ان تفهموا جيداً ان هذه الخاصة تختلف باختلاف العصور وباختلاف الظروف وقد يأتي

مكتبة هاشم - شارع سوريا

بيروت - تلفون: ٢٦٠٧٩

احدث المنشورات الادبية - ادوات قرطاسية -

تجليد كتب - تصليح عموم اقلام الحبر

تعبئة اقلام الحبر الناشف - معمل اختام كاوتشوك

٢٠٠ الاعاصير للقروي
١٥٠ الحرية، شعر، يوسف الخال
٣٠٠ في زورق الحياة - محمد يوسف حمود
٣٠٠ ذلك الليل الطويل - محمد يوسف حمود
١٠٠ البعث القومي - فايز صايغ
٢٥٠ غداً يفوت الاوان
٢٠٠ درب الهوى
١٠٠ بائعة الغرام
٢٥٠ الام
١٤٥ الطريقة الحديثة في تعليم اللغة الانكليزية الجزء الاول
١٩٥ « « « « « « الجزء الثاني

٢٥٠ تاريخ الحضارة العربية
١٠٠ من حي الى ميت - رسائل
٢٠٠ الرماد الاحمر - قصة
١٥٠ من مذكرات مجنون - قصة
٢٠٠ اسرار السياسة الدولية
١٥٠ ارواح بريئة
٢٠٠ سعادة والحزب القومي
١٥٠ الشعر العربي في بلاطات الملوك
٢٠٠ سفير
٢٠٠ رسالة في معطيات الوجدان والبديهة

وقت يصبح الشعب كله من هذه الخاصة لانه تعلّم . واذا كانت الخاصة طائفة بعينها من النـاس لا تزيد ولا تنقص ولا تتغير وانما هي طائفة محدودة بعينها فطبعاً ينتصر الاستاذ رئيف واصبح انا من السخف بحيث استحيي من الوقوف بين ايديكم.

واذن فلنتفق ونتفق قبل كل شيء على أن نحتـاط من مثل هذه الالفاظ :الخاصة والعامة والشعب والتوجيه وما الى ذلك ولنحذر ان ينتهي بنا هذا كله الى افساد الادب واخراجه عن طوره. وقد احتاط الاستاذ رئيف ويسرني ويسعدني ان اعترف له بهذا الاحتياط، فهو لم يرد ان ينزل الأدب الى العامة ولا ان يتجاوز الأدب عن جماله ومثله العليا في الروعة والجمال، فاذن لقد اتفقنا سواء اراد هو أم لم يرد. اتفقنا لسبب بسيط ما دام الاديب لا يضحي بالروعـة الفنية لا في الموضوع او المضمون كما يجب ان يقول ما دمنا متفقين. واشهدكم على انه قد سجل هذا مادمنا متفقين عـــلى أن الاديب لا ينبغي ان يضحي بفنه في سبيل قرائه فلن يكتب الاديب الا للخاصة.

ولكن مثل هذا الكلام عندما يذاع في هـــذه الايام وتنشره الصحف ويقرأه القادرون على فهمه والعاجزون عـن هذا الفهم قد يـــترك اثاراً خطيرة حقاً ، يترك اثاراً خطيرة لأن كثيراً من الناس يستقر في نفوسهم ان الادب يجب ان يكون مكتوباً بحيث يستطيع كل انسان ان يفهمه، وبحيث يستطيع كل انسان ان يذوقه. واذن فلا معنى للكتابة بهذه اللغة العربية الفصحى لان الشعب لا يفهم اللغة العربية الا اذا بسطت له اشد تبسيط وخولف فيها عن قواعد اللغة ودفع بها الى العامية التي يرتبط بها لسانه في اختلاف الاقاليم .الشعب اذن او كثير من الذين يسمعون كثيراً من هذه النظريات يظنون ان الادب يجب ان ينزل ليفهم الناس جميعاً . اما انا فاعتقد واظن ان الاستاذ رئيف يعتقد معي ايضاً ان الادب يجب ان لا ينزل وانما الوظيفة الاولى ، العمـــل الاول ، المنصب الاساسي لكل ادب ولكل علم ولكل معرفة انما هو ان يرفع الناس اليه لا ان يهبط هو الى الناس . ومهما يكن من شيء فأني اعتذر الى حضراتكم اولاً من هذه الاطالة دون ان استوفي الموضوع حقه واعتذر الى الاستـــاذ رئيف فقد اكون قسوت بعض القسوة او تجاوزت بعض ما ينبغي له من العناية ولكني اؤكد له اني اقدره واقدر اراءه واقدرها سواء وافقت عليها كلها أم لم اوافق الا على بعضها .

طه حسين

فتح جديد في المسرحية العربية

هيروديـــــا

بقلم

يوسف الخال

•

طبعت في نيويورك – الكمية محدودة

اطلبها الان من جميع المكتبات

الثمن ٢٠٠ قرش او مايعادلها

•

توزيع المكتب التجاري — بيروت